سُورَةُ النَّحْلِ

التّعريف العامّ بالسّورة:

سـورة النّحـل كلّها مكيّة على الأصحّ

سورة النّحل مِنَ السّور المكيّة عند جمهور العلماء، مع وجود بعض الأبحاث حول بعض الآيات حيال كون بعضها مدنيّة[1].

وعدد آياتها: مئة وثمان وعشرون آيةً باتّفاق العادّين[2].

وترتيبها في المصحف: السّورة السّادسةَ عشرةَ، وهو التّرتيب الثّابت، والمُعوّل عليه عند أهل النّظر والتّحقيق، وقد جاءت بين سورتَي الحِجر والإسراء.

وأمّا ترتيبُها النّزوليّ: فقد ذكر بعضُهم أنّها السّورةُ الثّامنةُ والسّتّون، بين سورتَي الكهف ونوح[3]، وذكر آخرون أنّها السّبعون في ترتيب النّزول[4]، وذكر ابنُ عاشور أنّها الثانيةُ والسّبعون في ترتيب النّزول، بين سورتَي الأنبياء والسّجدة[5]، والحقّ أنّ التّرتيب النّزوليّ ليس قطعيًّا في ثبوته؛ لافتقاده إلى صحّة الرّوايات، وممّا يؤكّد ذلك اختلافُهم فيه، ولكن مع هذا كلّه فهم على الأقلّ متّفقون على أنّها مِن أواخر السّور نزولًا، قبلَ الهجرة إلى المدينة المنوّرة.

الميقاتُ الزّمنيّ لنزول السّورة:

ظـروفُ نـزول السّـورةِ حافلةٌ بـالأحـداث والـتّـحـديّـات للـمسلمين في مكّة

المرحلة الزّمنيّة التي نزلت فيها هذه السّورة، هي مرحلةٌ حافلةٌ بأحداث جِسام عاشها المسلمون الأوائلُ في مكّة المكرّمة، حيث نزلت بعد مُدّة طويلةٍ من حياة المسلمين بها، وبعدَ كَبَدٍ ومعاناة

(1) دروزة، التّفسير الحديث: 5/ 115، ويُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/ 614.
(2) الدّانيّ، البيان في عدّ آي القرآن، ص: 175.
(3) السّيوطيّ، الإتقان: 1/ 43.
(4) دروزة، التّفسير الحديث: 5/ 115.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 94.

واضطهاد، فنزلت عَقِبَ حادثةِ الإسراء والمعراج، وبعد أن تقلَّبت عليهم فيها أحوالٌ مِنَ التّكذيب والتّشكيك، فجاءت السّورةُ تحمل في طيّاتها ما تثبّت به فؤادَ النّبي ﷺ، ولتعالجَ مواقفَ المشركين من قضايا العقيدةِ الرئيسة كالتّوحيد والبعث، وعرضت بعضَ جوانبِ رحلةِ الأنبياء مع أقوامهم، وخُتِمتِ السّورةُ بالتّسرية عنِ النّبيّ ﷺ، وبتوصيته بالثّبات على دعوته.

فنزلتِ السّورةُ في جوٍّ مشحونٍ يمثّل ذِروةَ الصّراعِ بينَ الحَقّ والباطلِ، في مرحلةٍ ساخنة مِن مراحل الدّعوة في مكّة.

❁ أسماء السّورة، وسبب تسميتها:

سمّيت (سورة النّحل) في الأثر، وبه جاء المصحف، وورد ذلك في الخبر

ليس لهذه السّورة إلّا اسمٌ واحدٌ هو (النّحل)، سُمّيت به في جميع المصاحف وكُتب التّفسير والسُّنّة، وهو اسمُها الثّابتُ رِوايةً وشُهرةً[1]، وقد ذَكَر بعضُ المفسّرين تسميتَها بسورة النِّعَم، قال ابن عطيّة: "هذه السّورة كانت تُسَمّى سورةَ النّعم بسبب ما عَدّد اللّهُ فيها مِن نعمه على عباده"[2]، وتُسَمّى عند بعضهم بسورة الامتنان[3]، والأظهر أنّ مثل هذا يُعَدّ وصفًا للسّورة، وليس اسمًا لها؛ لأنّ أسماء السّورِ مبنيةٌ على التّوقيف.

وجَعْلُ سبب تسميتِها هو ورودُ لفظِ (النّحل) فيها، إنّما هو من باب التّسمية بالاسم الأغرب أو الأبرز الوارد فيها، كما كان العربُ يُسَمّون قصائدَهم الطّويلة وخُطَبَهم بمعاييرَ، منها هذا المذكور[4]، ولَفْظُ النَّحْلِ لَم يُذْكَرْ في سورَةٍ أُخْرَى[5].

والحقّ أنّه لا بدّ مِنَ البحث عن رابطٍ أقوى بينَ اسم السّورة وبين

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 93.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/ 377.
(3) الشّنقيطيّ، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص: 186.
(4) السّيوطيّ، الإتقان: 1/ 197.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 93.

موضوعها؛ من ذلك ما أورده البقاعيّ بقوله: "فمقصودُ السّورةِ الدّلالةُ على أنّه تعالى تامُّ القدرةِ والعِلْم، فاعلٌ بالاختيار، مُنزّهٌ عن شوائب النّقص، وأدَلُّ ما فيها على هذا المعنى أمرُ النّحل، لِما ذُكِرَ مِن شأنها مِن دِقّة الفَهْم في ترتيب بيوتها ورعيها وسائرِ أمرها؛ مِن اختلاف ألوانِ ما يخرج منها مِن أعسالها وجَعْلِه شفاءً، مع أكلها مِنَ الثّمار النّافعة والضّارّة، وغيرِ ذلك مِنَ الأمور، ووسمِها بالنِّعَم واضحٌ في ذلك"[1].

وهذا مَلْحظٌ دقيق مِن هذا العالم الفَذّ، نبَّهَ فيه على أمرٍ قد أبهر العالمَ الحديثَ، مِن دقّة نظامِ عالَم النّحل ومملكَتِه؛ لذا كانتِ التّسميّة للسّورة بهذا الاسم ليست نابعةً مِن انفراد السّورة بلفظةِ النّحل، بقدر ما هو انفرادُ عالَم النّحلِ بهذه الدِّقّة والفَهم، والتّعاونِ والاتّساق، إضافة لما يُنتِجه النّحل من غذاء وشفاء للبدن، من خلال رحلة طبيعيّة طويلة وشاقّة، ليكون عسلُه رمزًا لإنعام وإكرام الخالق لبني الإنسان، وبشرح محور السورة فيما يأتي يتّضح الرّبط بين التسمية وبين موضوع السورة.

❁ المُحور العامّ للسّورة:

بيانُ منهجيّة القرآنِ في التّعامُل مع النّعم الكَونيّة، ودوامُ النِّعَم باستقامة أحوالِ المُنعَم عليه

المُحور العامّ الّذي قامت عليه السّورة - فيما يبدو - هو في بيانُ منهجيّة القرآنِ في التّعامُل مع النّعم الكَونيّة، والرّبط بين ديمومة هذه النّعم واستقامة أحوال النّاس، ثمّ بيانُ تباينِ مواقفِ النّاس إزاء هذه النِّعَم، بينَ جاحد كافر، ومُقرٍّ شاكر، ثمّ بيان أثر العلم والمعرفة وإعمال العقل في تحقيق سعادة البشريّة؛ فإنّ عالم النّحل يُعدّ الأُنموذَجَ الأمثلَ المطلوبَ في مثل هذا التّفاعل الدّقيق، والتّناسق العميق بينَ العالَمَيْن: العُلويّ والسُّفليّ، المادّيّ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 101.

والمعنويّ، مِن أجل تحقيق التّوازن، واستثمارِ الطّاقة بينَ متطلّبات هذَيْن العالَمَيْن، فمَملَكَةُ النّحلِ مِنَ العوالم المُسَبّحة، الّتي انطبق عليها قولُه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: 49 - 50]؛ فإنّها قد أفادت مِن هذا التّلوّن والتّسخير الكونيّ الّذي أوجده تعالى؛ ليُعِينَ على تحقيق المتاع والاستقرار في الأرض، أفادت منه في تحقيق الإنتاج المثمر لها وللإنسانيّة مِن خلال تحويل المُدخلات المختلفة التي تَرِد عليها إلى شَرابٍ شافٍ مختلفٍ ألوانُه، فكانت أُنموذجًا يُحتذَى به في الإفادة مِن سُنن النّظام الكونيّ في تحقيق إنتاجٍ يُحَقّق الشّفاءَ للإنسانيّة جمعاء، وأُنموذَجًا للعمل بَكَدٍّ واتّساق، دون اختلافٍ وانقسامٍ بينَها، مِن أجل تحقيق الغاية المرجوّةِ منها، دونَ تقاعسٍ أو خُذلان، وكلّ ذلك مبنيٌّ على عِلْمٍ دقيقٍ قد غُرِزَ في فطرتها، ممّا يُفَسّر لنا إكثارَ السّورةِ الكريمةِ مِنَ الحديث عنِ العلم والعمل معًا كما سيأتي، بخلاف حالِ الكافرين الّذين لم ينتفعوا مِن مُسَخّرات الكونِ، وآلاء اللّه فيه، في تحقيق سعادتهمُ الدّنيويّة والأُخرويّة، فلم يجعلوا تَلَوّنَ الكونِ وتنوّعَه دليلًا على وحْدَة الخالق، بل جعلوه دليلًا على تَعَدّد الشّركاءِ لفَرْط جهلِهم، وعدمِ انتفاعِهم بالعقول الّتي أودعها اللّه فيهم للمعرفة، ولم ينتفعوا بكلّ وسائل المعرفة ومصادرها الّتي جعلها لهم: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل: 78]، فقال تعالى عن النّحل: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [النحل: 68 - 69].

فالنّحل قد امتثلت للوحي الفطريّ الّذي أودعَ اللّه فيها، ونفّذتْ أوامرَه، وعَمّرَتْ عالَمَها ومملكَتَها على أفضل ما يمكن أن ينتجَهُ عقلٌ فاعلٌ، وعِلْمٌ يُنتَفَعُ به، فاستَحَقّت أن تُسمّى السّورةُ باسمها لِما تُمَثّلُه مِن رمزيّة مُرادة.

ووضّحت سورة النّحل بصورة تطبيقة المنهجية المثلى لشرح قواعد الإنعام الربّاني في التّعامل مع النّعم من خلال مقوّماتها الثّلاثة: المُنعِم، والمُنعَم عليه، والنّعم ذاتها؛

تعرض السّورة منهجيّة القرآن الكـريـم في التّعامل مع النّعم من خلال مقوّماتها الثّلاثة

بُغية تحقيق التّوازن بين متطلّبات الدّنيا والآخرة بما يحقّق السّعادة في الدّارين.

فأمّا من حيث المُنعِم فقد قرّرت السّورة بكلّ جلاء ووضوح أنّه واحدٌ أحد، فردٌ صمد، لم يلد ولم يولد[1]، فأسندت أفعال الخلق والجعل والتّسخير إليه مرارًا[2].

ثمّ بيّن المُنعم ﷻ مُراده من هذا الإنعام ومقصده فيه بقوله بعد تعداد هذه النّعم: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [النّحل: 14]، ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ [النّحل: 15]، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النّحل: 44]، ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾ [النحل: 81]، ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النّحل: 90]، وصرّح بذلك في قوله: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾ [النحل: 114].

وبيّن ﷻ جوامع ما يأمر به العباد إزاء هذه النّعم المسخّرة لهم بقوله: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النّحل: 90]؛ لذا فإنّ أسلوبَي الأمر والنّهي قد كثرا في هذه السّورة، حيث ازدحمت آياتها بالأوامر والنّواهي والتّوصيات والتّوجيهات لكلّ الأطراف من مؤمنين وكافرين، حتّى إنّ آياتها الأخيرة كانت مجملةً لهذه التّوصيات وجامعةً لها[3].

وبيّن ﷻ أنّ على المُنعَم عليهم أن يتفكّروا ويتدبّروا في هذه النّعم والآيات التي حولهم حتّى توصلهم إلى وحدانيّة خالقهم وتفرّده في الإنعام؛ لذلك أكثرت السّورة الكريمة من ذكر العمليّات العقليّة المختلفة مع هذه الآيات، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ

(1) كما في الآيات، ص: 22، 51- 54، 73.
(2) كما في الآيات: 10- 12، 52- 54، 72، 78.
(3) وذلك في الآيات: 125- 128.

يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾ [النحل: 11، 69]، وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [النّحل: 12]، وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [النحل: 13]، وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النحل: 65]، وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [النحل: 79].

وأمّا من حيث المُنعَم عليهم فقد بيّنت السّورة الكريمة تباين مواقفهم إزاء هذا الإنعام بين شاكر وكافر: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [النّحل: 36]، وبيَّنت أيضًا بعض أسباب الكفر والجحود، قال تعالى: ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [النّحل: 63]، وقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النّحل: 107]، وبيّنت السّورة الكريمة بعض شبهات الشّاكّين الجاحدين فيه، من مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ [النّحل: 35] (1)، وصرّح بجحودهم نعم الله عليهم بقوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [النّحل: 83]، وضربت السّورة الكريمة الأمثال فيهم وفي جحودهم(2).

وأكثرت السّورة من وعد الشّاكرين ووعيد الجاحدين، وبيّنت في مواضع كثيرة جزاء كلّ من الفريقين(3).

وفي مقابل ذلك الجحود بالنّعم ضرب الله الأمثال بالشّاكرين من خلال أُمّتَيْن مختلفَتيْن: من خلال إبراهيم عليه السلام الّذي وُصف بأنّه أمّة، فقال عنه: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ [النّحل: 120 - 122]، وضرب لنا المثل الآخر بأمّة النّحل الّتي سُمّيت السّورة باسمها؛ لأنّها الأنموذج الأمثل في الإفادة من النّعم جمعًا وإفادة وشفاء للنّاس.

وأمّا من حيث المقوّم الثّالث وهو النّعم فقد بيّنت السّورة الكريمة كثرة هذه النّعم، فقال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل: 18]، وبيّنت

(1) وأيضًا في الآيات، ص: 92، 112.
(2) كما في الآيات، ص: 22، 51- 54، 73، 75- 76.
(3) كما في الآيات: 28- 32.

أصول هذه النّعم وفروعها، فقد جعلها الأستاذ عبد الحميد طهماز في ثلاث مجموعات من النّعم، فقال: "المجموعة الأولى من النّعم: نعمه سبحانه في خلق الإنسان وإيجاده وتنظيم بيئة حياته وجعلها صالحة لمعاشه، وذكر سبحانه في المجموعة الثانية بعض النّعم الضروريّة لاستمرار الإنسان، وفي الوقت نفسه تمتاز هذه النّعم بكونها أدلّة على كمال علمه سبحانه وتمام مشيئته وعظيم قدرته، وذكر في المجموعة الثالثة النّعم التي يحتاجها الإنسان في حمايته ووقايته"[1].

وأخيرًا بيّنت السّورة الكريمة بعض سنن الله تعالى في هذه النّعم، مثل سنّتَي الابتلاء والاختلاف بين الخلق[2]، وبيّن ﷺ أنّ من سنّته تحقيق التّفاضل بين النّاس في الأرزاق والنّعم[3]، وبيّن أنّ من سنّته استئصال الجاحدين بالنّعم وعقوبتهم[4]، وبيّن أنّ من سنّته أيضًا ألّا يُعجّل بالعذاب، وأن يُمهل النّاس[5].

❁ الموضوعات الرّئيسةُ للسّورة:

مَـدارُ الـسّـورةِ حــولَ تـقـريـرِ أصولِ العقيدة، بـلـفـت الـنّـظـر إلى آلاء الله في الكون

أوّلًا: عنايتُها الفائقةُ بإقامة الأدلّة على وحدانيّة الله تعالى، وعلى صدق رسولِه محمّد ﷺ في دعوته، وعلى أنّ يوم القيامة حَقّ، وعلى أنّ القرآن مِن عند الله ﷻ.

ثانيًا: تفصيلها القولَ في بيان آلاءِ الله تعالى على خَلْقه، وقد سَبَحت السّورة في هذا الجانب سَبْحًا عظيمًا، فذَكّرتِ الإنسانَ بنعمة خَلْقِه، وبنعمة تسخيرِ الأنعام، والشّمس، والقمر، والنّجوم، والماء، والجبال، والأشجار...، كلّ ذلك وغيره؛ لمنفعته ومصلحته.

(1) طهماز، التّوحيد والشّكر في سورة النحل، ص: 25.
(2) وذلك في الآيات: 92-93.
(3) وذلك في الآية، ص: 71.
(4) وذلك في الآيات: 45-47.
(5) وذلك في الآية، ص: 61.

ثالثًا: اهتمامُها بضَرْب الأمثالِ للمُؤمن والكافر، والشّاكر والجاحد، والإلَه الحَقّ والآلِهَة الباطلة، وذلك لأنّ في ضَرْب الأمثالِ تقريبًا للبعيد، وتوضيحًا للخَفيّ، بأُسلوب مِن شأنه أن يكون أوقعَ في القلوب، وأثبتَ في النّفوس، وأدْعَى إلى التَّدبّر والتَّفكّر.

رابعًا: حرصُها على إيراد أقوالِ المشركين وشُبَهِهِم، ثُمّ الرَّدِّ عليها بطريقة تقنع العقولَ، وتُرضي العواطفَ؛ بأنّ الإسلام هو الدّين الحَقّ، وبذلك يزداد المؤمنون إيمانًا على إيمانهم.

خامسًا: عنايتُها بتوجيه المؤمنين إلى مكارم الأخلاق، وأُمّهات الفضائل؛ كالعَدْل، والإحسانِ، وإيتاءِ ذي القُرْبى، والوفاءِ، والصَّبر، والشُّكر...، وبنَهيهم عنِ الرَّذائل؛ كالغَدْر، والجُحودِ، ونقضِ العُهودِ، والاستكبارِ، والظُّلْم.

وأخيرًا: فإنَّ المُتأمّل في هذه السّورة أيضًا يراها حافلةً بأسلوب التّرغيب والتّرهيبِ، والتّبشيرِ والإنذار، والوَعْدِ والوعيد[1].

الخصائص الموضوعيّة:

تفرَّدتِ السّورةُ بذكر النّحل فيها، والحديث عنه كأُمّة مستجيبة ممتثلة لأمر الله تعالى، وهذا اللّفظ لم يتكّرر ذِكْرُه في سورة أخرى، إضافةً إلى أنّ الأصل الاشتقاقيّ لمفردة النّحل يقوم على معنى الإعطاء دونَ مقابل، وهو أخصُّ من الهِبَة؛ إذ كلُّ هِبَةٍ نِحْلَةٌ، وليس كلُّ نِحْلَةٍ هِبَةً، واشتقاقه من النَّحْل نظرًا منه إلى فعله، فكأنَّ قولَك: نَحَلْتُهُ، أي: أعطيتُه عطيّةَ النَّحْلِ، فالنّحل يقع على الأشياء كلّها فلا يَضرُّها بوجه، وينفعُ أعظمَ نفعٍ، فإنّه يعطي ما فيه الشِّفاء كما وصفه الله تعالى، وسُمّيَ الصَّداقُ بها مِن حيثُ إنّه لا يجب في مقابلته أكثرُ من تمتُّع دون عِوضٍ ماليٍّ[2]؛ ومن هنا كان الاسم موافقًا لمضمون السّورة.

وتميّزت سورة النّحل بذِكرها مجموعاتٍ تفصيليّة منوّعة مِنَ النِّعم، من ذلك: نِعْمَةُ خَلْقِ الإنسانِ وإيجادِه، وتنظيم بيئةِ حياته وجعلِها صالحةً لمعاشه، من دوابّ وزروع وشمس وقمر ونجوم، ونِعَمٌ ضروريةٌ لاستمرار الإنسان، مِنَ الماء، والأنعام، والأرزاق، والأزواج، والبنين، والحفدة، ونِعَمٌ يحتاجها الإنسانُ في حمايته ووقايته، مِن ظِلالٍ، وجبالٍ، وثيابٍ،

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 8/ 97.

(2) الخليل، العين، والرّاغب، المفردات: (نحل).

فكانت تلكَ النّعمُ دالّة على التّوحيد؛ لتَصُبّ في خِدمة المِحْوَر الرّئيس، بضرورة شُكرها توحيدًا والتزامًا.

وتميّزت سورة النّحل بذكرها لموضوع الرّزق في عشرة مواضعَ متنوّعة[1]، وما تلك الكثرة والتّنوّع إلّا للدّلالة على توحيد الرّازق وطاعته والتزام أمره؛ ليتحقّق الشّكرُ لتلك النّعم المبثوثة في الكون.

وتميزت سورة النّحل في علاجها وتقريرها لموضوع التّوحيد من خلال النِّعم، فقد ذُكِرَتْ لفظةُ النّعمةِ ومشتقاتُها صراحةً في تسعة مواضع[2]، فتارةً تُذْكَر السّورةُ بعض أنواع هذه النّعم، وتارة تذكرها من خلال الأمر باتّباع أمر الله في النّعم من تحليل وتحريم، وتارة من خلال التّذكير بالأمم السّابقة التي لم تشكر النّعمة كأصحاب السّبت، وتارة بذكر الجزاء لتثبيت من شكر، وتهديد من كفر، وغيرها من طرق شكر النعمة في تقرير التوحيد.

وتميّزت سورة النحل في تركيزها على العِلْم مِن خلال ذِكْر لفظةِ العِلْم في خمسةٍ وعشرين موضعًا[3]، فضلًا عن ذِكْر العمليات العقليّة الأُخرى كالتّفكّر والتّذكّر والتّعقُّل والمعرفة[4]، وفي ذلك دلالةٌ على فائدة العِلْم في تحقيق شُكر الله بتوحيده والتزام أوامره، وفي بيان جهل الإنسان بتلك النّعم وحقيقتها في الدّلالة على توحيد الله، وذُيِّلَت كثيرٌ من آياتها بالحديث عنِ العمل والفعل والصّنع[5]؛ ممّا يؤكّد أنّ السّورة تريد الرّبط بينَ العِلْم السّليم، معَ العمل المُفيد.

الخصائص الأُسلوبيَّة:

هناك العديد مِنَ الأساليب والقضايا اللّغويّة التي مَيّزت هذه السّورةَ عن غيرها مِنَ السّور، وإن شاركتها بعضُ السّور في شيء مِن هذه الأساليب، منها:

تميّزت سورة النّحل بذِكْر لفظِ الجلالة (84) مرّة، في مقابل ذِكْر الرّبوبيّة (20)

(1) الآيات، ص: 56، 67، 71، 72، 73، 75، 112، 114.
(2) الآيات، ص: 18، 30، 53، 71، 72، 81، 83، 112، 114.
(3) الآيات: 8، 19، 23، 25، 27، 28، 38، 39، 41، 43، 55، 56، 70، 74، 75، 78، 91، 95، 101، 103، 125.
(4) الآيات، ص: 11، 12، 13، 17، 44، 65، 67، 69، 83، 90.
(5) الآيات، ص: 28، 32، 91، 93، 96، 97، 112.

مرّة، وهذا للدّلالة على شُكره تعالى على نِعَمه، بتوحيد ذاته وطاعته والتزام أوامره؛ لأنّ المعضلة التي يعيشها المشركون هي في جَعْل شريكٍ مع الله، فهم يعلمون رُبوبيَّته تعالى ونِعَمَه وخَلْقَه، لكنّهم يُشركون معه، فجاء لفظُ الجَلالة مُكَرّرًا لتأكيد وحدانيَّةِ الفعل والخَلْق والقُدْرة، ومِن ثمّ وحدانيّةِ العبادة.

وتميّزت سورة النّحل في ذِكْرها النِّعَم على سبيل الجمع غالبًا، فكانتِ الجموعُ متواترةً منذ البداية: (الأنعام، الجُلود، البِغال، الأبصار، الأفئدة، الأوبار، الأصواف، الأشعار، ...)؛ وهذا للتّأكيد على كثرتها، وعدم قُدْرةِ إحصائها، وبيانِ فضلِه تعالى على النّاس؛ لِتَصُبّ في خدمة المِحور الرّئيس مِن شُكر تلك النِّعَم بكثرتها توحيدًا وطاعةً لله.

وتميّزت سورة النحل بكثرة أسلوبِ الاستفهام فيها، وتنوّعِه بين (الهمزة، وماذا، وكيف، وهل، وأين)، حتّى بلغت أربعةَ عشرَ موضعًا[1]، وكان مِن أغراضها: الإنكارُ والتّوبيخ والتّعجب والتّهديد والتّحذير والتّشويق والتّسوية، وغيرُها مِنَ الأغراض البلاغيّةِ، وكان أكثرُها استعمالًا أداةَ الهمزة، وأكثرُها غرضًا أسلوبَ الإنكار، وفي ذلك دلالةٌ على استجاشة العقلِ والقلبِ؛ لتقرير توحيدِه بشُكر نِعَمِه الدّالّة عليه، وطاعتِه والتزامِ أوامرِه.

وتميّزت سورة النّحل بتتابع أسلوبِ التّأكيد بـ (إنّ، واللّام المُزَحْلَقة) في سبعة مواضع، وهي: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ﴾[2]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ﴾[3]، وفي ذلك دلالةٌ على التّأكيد والتّحقيق، فأنزل المُخاطَب منزلةَ المُنكِر؛ لعدم جَريه على مقتضى إقراره، كلُّ ذلك لتأكيد ضرورةِ شُكْر النِّعم، ودلالتِها الواضحةِ على التّوحيد.

وتميّزتِ السّورة الكريمة بأسلوب ضَربِ الأمثال، حيثُ ذَكَرت مَثَلين للتّوحيد، يتخلَّلُهما استشعارُ النّعم وضرورةُ شُكرِها بتنزيه الله، وذلك مِن خلال مضمون المَثَل: (مملوكٌ ومالكٌ مَرزوق، أبكمٌ لا يَقْدِر على شيء، ومتكلّمٌ أوتيَ حِكْمةً بالنّطق والكلام)[4]، فالمثالان جاءا ليُبَيِّنا وجودَ النّعمةِ وفقدِها؛ للتّدليل على وحدانيَّتِه سبحانَه، ثمّ جاء المَثَلُ

(1) الآيات، ص: 17، 24، 27، 30، 36، 45، 48، 52، 59، 71، 72، 75، 76، 79.
(2) الآيات، ص: 11، 13، 65، 67، 69.
(3) الآيات، ص: 12، 79.
(4) الآيتان: 75 - 76.

الثّالثُ[1] ليُبَيّنَ صراحةَ مصيرِ مَن كفر بنِعَم الله؛ تلك الأمثالُ جاءت لتَصُبّ مباشرةً في مِحْور السّورة.

وتميّزت سورة النّحل في عرضها لنِعَم الله وتعدادِها بذِكْر الرّأفَة والرَّحمة والمغفرةِ في ستة مواضع، فتارةً تَذْكُر: ﴿لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2]، وتارةً: ﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3]، وفي ذلك دلالةٌ على نِعَمِه المَصبوغة بتلك الأوصاف في دعوتها لتوحيد الله والتزامِ أوامرِه.

وتميّزت سورة النحل بقِلّة ذِكْرها لأسلوب القَصَص، فهي لم تذكر شيئًا مِنَ القصص إلّا على سبيل العموم: ﴿مِن قَبْلِكَ﴾ [النحل: 43]، أو على سبيل التّذكير ببعض الشّخصيات، كإبراهيم ﷺ، وأصحابَ السَّبت؛ وذلك لِتُعَلِّق الاسمين بموضوع السّورة ومحورِها.

وتميّزت سورة النّحل بذِكْر ﴿لَّعَلَّكُمْ﴾، ﴿وَلَعَلَّهُمْ﴾ في سياق ذِكْر النِّعَم في ستّة مواضع[4]، وذلك لِتَرجّي حصولِ ما ينفعُهم ويهديهم إلى توحيد الله تعالى بتلك النِّعَم المَذكورة.

وأخيرًا حظيتِ السّورة الكريمة بألفاظ تفرّدت بها عن غيرها مِنَ السّور، وهذه الألفاظ هي: ﴿دِفْءٌ﴾ [5]، و﴿وَٱلْبِغَالَ﴾ [8]، و﴿فَرْثٍ﴾ [66]، و﴿وَحَفَدَةً﴾ [72]، و﴿جَوّ﴾ [79]، و﴿ظَعْنِكُمْ﴾ [80]، و﴿إِقَامَتِكُمْ﴾ [80]، و﴿أَصْوَافِهَا﴾ [80]، و﴿وَأَوْبَارِهَا﴾ [80]، و﴿وَأَشْعَارِهَآ﴾ [80]، و﴿تَوْكِيدِهَا﴾ [91]، و﴿غَزْلَهَا﴾ [92].

وإنّ الجامع لهذه الألفاظ العشرة أنّها ذاتُ اتّصالٍ مباشِر بمِحور السّورة، فقد جاءت في معرض الحديث عنِ النِّعَم الدُّنيويّة ذاتِ الحاجات المُستمرّة في كلّ زمان ومكان، فهي ما زالت ذاتَ ارتباطٍ وثيقٍ بحياة الإنسان، واستمراره ووقايتِه، وهذا بيّنٌ ظاهرٌ في الألفاظ الثّمانية الأولى، أمّا اللفظان الأخيران فجاءا في معرِض التّحذير مِن سوء استخدام تلك النِّعَم، ووجوبِ شُكرها بالتّوحيد والطّاعة لله حتّى لا تفنى ولا تزول؛ لتلتحِمَ الألفاظُ في بوتقة واحدة، وتصبَّ في المِحْور الرّئيس للسّورة.

(1) الآية، ص: 112.
(2) الآيتان: 7، 47.
(3) الآيات، ص: 18، 110، 115، 119.
(4) الآيات: 8، 14، 15، 44، 78، 90.

❁ بيانُ المناسبةِ بينَ السّورة وسابقتها:

السّورة متّصلة تـمـامًـا بـسـورة الحِجر مضمونًا وأسلوبًا

جاءت هذه السّورة في التّرتيب المُصحفيّ بعد سورة الحِجر، وقد تلمّس وجهَ اتّصالِهما الإمامُ البقاعيّ بقوله: "لـمّا ختم الحِجرَ بالإشارة إلى إتيان اليقين، بقوله: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: 99]، وهو صالح لموتِ الكلّ، ولكشفِ الغِطاءِ بإتيان ما يوعَدون ممّا يستعجلونَ بهِ، استهزاءً مِنَ العذاب في الآخرة بعدَ ما يَلْقَون في الدّنيا؛ ابتدأ هذه بمثل ذلك سواءً، بقوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾، غير أنّه ختم تلك باسم الرّبّ المُفْهِم للإحسان؛ لُطْفًا بالمخاطَب، وافتتح هذه باسمه الأعظم الجامع لجميع معاني الأسماء؛ لأنّ ذلك أليقُ بمقام التّهديد، ولما ستعرفُهُ مِنَ المعاني المُتنوّعة في أثناء السّورة، وسيُكَرّر هذا الاسمُ فيها تكريرًا تعْلَمُ منه صِحّة هذه الدّعوى"(1).

أمّا وجه ارتباطها بما قبلها عند المَراغيّ: فهو أنّه لـمّا قال في السّورة السّالفة: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [الحجر: 92]؛ كان ذلك تنبيهًا إلى حشرهم يومَ القيامة، وسؤالِهم عمّا فعلوه في الدّنيا، فقيل: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾، وأيضًا فإنّ قوله في آخرها: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: 99] شديدُ الالتئام بقوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾(2).

والحَقّ أنّ السّورتيْن مَكّيّتان، تناولتا الحديثَ عنِ القرآن وهَدْيه.

وتشتركُ السّورتان في الحديث عن مواقف المشركين عبرَ التّاريخ، مِن فِكرة الوحي وتكذيبهم، وشُبَهِهم حولَ البعثِ والتّوحيدِ والنُّبوَّةِ، وعن تكذيبهم بالمعجزات والخوارق: ﴿وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ١٤ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ١٥﴾ [الحجر: 14 - 15]، وتشتركان أيضًا في عرض مشاهدِ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 101 - 102.
(2) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 14/ 51.

قُدْرةِ اللّه تعالى، وآياتِه في الأنفس والآفاق، وفي عرضِ مشاهد المُكذّبين عبرَ التّاريخ، وما أصابَهم نتيجةَ استعجالِهم وتكذيبِهم بالعذاب: ﴿وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ۝٤ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ۝٥﴾ [الحجر: 4 - 5].

فسورةُ النّحل أجملَتْ ما جاء في سورة الحِجر، وفصّلت في بيان ما كان يجب على أولئك الكافرين مِنَ الإذعان لآيات اللّه في الكون المُسَخّر لهم.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والعشرون،
سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والعشرون، سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 26 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-23-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 26 : المجلد السادس والعشرون، سورة النّحل من الآية 1 إلى الآية 71.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-23-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9758876 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»